

مرايا الروح

EVEN THE DARKEST NIGHT WILL END
& THE SUN WILL RISE AGAIN

عبد محمود الحسن

ليست فقط العيون هي مرايا الروح كما
تسميها العديد من الثقافات
فهناك مرايا أخرى تعكس لنا أضواء
الروح
و منها الحروف
فإن نطقها اللسان صارت كلمات
وإن نطقها القلب صارت خواطر
وهي موضوع هذا الكتاب



الإهداء:



إلى أحبتي الذين سيبتسمون عند قراءة هذه العبارة

وإلى كل من ترك بصمته وأثره في نفسي





إنه جسد بلا روح
إني هناك ولست هناك
لا تسأليني كيف
هل تذكرين آخر مرة ألتقينا بها
عندما تصافحنا قبل الرحيل
ذهبت أنا
وبقيت روحي في يدك





لو أننا نستطيع إعادة الزمن إلى الوراء
لتراجعنا عن كثير من القرارات التي كنا نجزم بصحتها
و لتخلينا عن العديد من الأشياء
ولتمسكنا بأشياءٍ أخرى
لو أننا فقط نستطيع
تدوير عجلة الزمن إلى الخلف
ربما لم نكن سنعيش هذه الحياة
لم نكن سنعيش هذه الحياة





مللت

منذ سنين

ورغم الملل

استمررت

ليس لأنني أردت النجاح

ولكن لأنني لم أجد شيئاً أفضل لعمله





لقد شدني ذلك الضوء في آخر الطريق
لطالما ظننت أنه نجمة سقطت سهواً
فكنت أسرع بالخطا للوصول
وعندما وقفت على خط النهاية
لم أجد تلك النجمة
لقد اختفت
وكذلك أحلامي





هكذا

بلا وداع ولا لقاء

قد تعبت من حمل الحقائق

فعزمت أن يكون هذا آخر السفر





آخر لقاء

تلك الحقيقة المرة

هل تعلمين معنى أن يترك الإنسان جزءاً من قلبه ويمضي

هكذا كان الأمر معك

نظرت إلى عينيك للمرة الأخيرة

لمست يدك دون قصد. . للمرة الأخيرة

اسمع صوتك وأنتي تكلميني وتشكين لي الحياة للمرة الأخيرة

كم تمنيت أن تكوني في حياة غير هذه الحياة

في دنيا لا يعيش فيها إلا أنا وأنت

أن أريحك من هذه المشاكل

أو على الأقل أن أعيشها بدلا عنك

هل تعلمين معنى أن يتمنى رجلا مثلي

لم يعيش في السعادة إلا الشيء القليل

أن يتمنى أن يمنحها لك دون تردد

هل هو حب

لا أعلم

فلم أجراً يوماً أن أطلق هذا المسمى على علاقتنا

واكتفيت بأن أدعوه . . صداقة

ربما لأنني أرى أنني لا أستحقك





وكيف لرجل مثلي مثقل الكاهل بالهموم
أن يشقيك معه ويجعلك جزءاً من حياته
أسمع ضحكاتك للمرة الأخيرة
أنظر إلى وجهك للمرة الأخيرة
لم تعلمي أنه لقائنا الأخير
فقط أنا كنت أعلم هذا في أعماق نفسي
إنه وداعٌ . بلا وداع





أقسى وداع. وداع العين للعين
حين كان آخر العهد بهم نظرة





قالت لي

قد عرفت لون عيوني

فما لون عيناك

قلت يا أيها الزارعون بعينونها الزرع

قد حان في عيناى الحصاد





الحزن

انه يرافقنا منذ الولادة

قد يغيب أحيانا

فلا نشتاق إليه

أننا نكرهه

على الرغم من أنه الوحيد الذي يبقى معنا حين يتركنا الجميع

ولكننا لا نريده

نريد التخلص منه بأي ثمن

ربما لذلك هو حزن

لان لا أحد يرغب به





في ذلك اليوم القرمزي
عندما ذابت ظلالنا مع مغيب الشمس
وأتى المساء تحمله الريح على أجنحتها الثلجية
وضعت معطفي على كتفك
وأسدلت شعرك كالشلال فوقه
في تلك اللحظة
تمنيت أن يطول طريقنا إلى ما لا نهاية
وأن يبقى الشتاء إلى الأبد





رغم الصمت
تبوح العيون بكل شيء





أنا لم أنتهي
فما زال في عيني نور
وما زال القلب ينبض
وما زالت الدماء تجري
وما زلت أحتفظ بصورتك في مخيلتي
أنا أمتلك جميع ما أحججه للعيش
أنا لم أنتهي





جلست وحيدا في المقهى كعادتي
كنت أفكر في العديد من الأمور
تتراوح بين مغزى الحياة وتشابك الأقدار وبين ما الذي سأتناوله على الغداء
كان هذا اليوم كغيره من الأيام
لا جديد فيه
إلى أن تنبهت إلى امرأة رمقتني بنظرات خاطفة
كانت ذات شعر أسود وطويل وكأنها تحمل الليل على أكتافها
وجها مائل للسمره قليلا
وعيونها كشعرها
وقبل أن اتمعن في بقية شكلها
رأيتها وقفت وتوجهت نحوي
بدأت دقات قلبي تتسارع
فلمست معتادا على الرفقة
وخلال لحظات كانت أمامي
نظرت إلي وقالت
هل تنتظر احداً
فقلت في تردد لا
فأخذت الكرسي الذي بجانبى ومضت





لقد أتممتُ اليوم القصيدة الخمسين
ولم يتسنى لي حتى الآن أن أقرأ لكي منها سطرا واحدا
ففي كل مرة أفقُ فيها أمامك
وفي اللحظة التي تلتقي فيها عيناى بالنجوم التي خبئتها تحت جفونك وتدعين أنها
عيون

أنسى القصائد
وأنسى الكلمات
وأنسى من أكون





في الأمس

قرر الحلم أن يخالف الواقع ويجمعنا معاً

كنت جميلةً كالعادة

وكان قلبي مطمئناً ساكناً بقربك

وكما هو الحال دائماً

الأشياء الجميلة لا تدوم طويلاً

استيقظت

وعدنا إلى الفراق الأبدي مرةً أخرى





بعد ليلة قضيتها بين الأرق والكوابيس

استيقظت صباحا

وشربت فنجانا من القهوة السادة

وبعد انتهائي قلبت الفجان ثم ارجعته لأقرأ ما فيه

لم أكن معتادا على فعل هذا

وربما هذه هي المرة الأولى

ولكن على سبيل الفضول

نظرت فيه

فإذا الوجوه التي كنت اراها في الكوابيس

تنظر إلي من داخل الفجان

وقد ارتسمت ملامحها بدقة غريبة

كان أقرب إلى إحدى لوحات الميثولوجيا اليونانية أكثر من كونه فنجان قهوة

كانت تقول لي بنظراتها أنها ستبقى ملازمة لي مثل التنين الذي لا يفارق لوحة

القديس مار جرجس

ولن تقتصر زيارتها لي على النوم





تلك القطرات التي تنزل على وجهك صباحا عندما تغسل وجهك
كم تمنيت ان تصل إلى روحك فتغسلها أيضا
ترتدي ثيابك وتخرج للعمل الذي تضطر لتحمله لتكسب ما يكفيك لتعيش يوما آخر
من اللاشيء
تضع قدمك خارج الباب ثم تضع على وجهك تلك الابتسامة الزائفة التي لا تعكس
شيئا مما في اعماقك
وفي آخر اليوم تعود لمنزلك وتغلق الباب خلفك
إنها الآن الثانية بعد منتصف الليل
يمكنك الآن أن تطلع عنك جميع الأقنعة التي ارتديتها على وجهك خلال النهار
يمكنك الآن أن تعود إلى نفسك
يمكنك الآن أن تكون أنت





كنت كعادتي في كل يوم
أنتظر خروجها إلى الشرفة
تلك الفتاة الباكية
هكذا كنت أسميها
لأنها في كل مرة تخرج لتقف على الشرفة
وتراقب غروب الشمس
كنت أرى دموعها تسقط مع الغياب
ربما فقدت شخصا عزيزا
لا أعرف
كل ما اعرفه أنني أحب أن أراها
ربما لأنها تذكرني بشخص عزيز عليّ
ولكن من هو
لا أتذكر
قررت اليوم أن أسألها عن سبب حزنها
لذلك مشيت خلفها منتظرا فرصة مناسبة
ناديتها لعدة مرات
وكانت تكمل سيرها وكأنها لم تسمع
ربما لا تريد أن تتكلم معي





لذلك توقفت عن السير

وكانت هي قد دخلت إلى محل زهور مجاور للمقبرة واشترت باقة زهور وذهبت
لتقف عند ضريح مزين بالورود

انتظرت خروجها ثم دخلت لأرى من الشخص الذي تزوره

وقفت فوق لوحة الاسم وقرأت

لقد كان أسمى

أنا ذلك الشخص الذي تبكي لأجله





عينان سوداوان . .

كأيامي بدونك

وكغيم المطر

وكلون أجفان الحزين إذ يعانقها السهر





هاقد غابت الشمس

ومضى يومٌ آخر

دون أن أراك

دون أن تكون جزءاً من يومي

دون أن أشكو لك كيف الحياة بدونك





ماذا ستقول لشخص مهدد بفقدان كل شيء
وهل تستطيع الكلمات حقا أن تخفف الحزن
كيف ستواسيه

وهل هناك حقا شيء اسمه المواساة
أما أنها مجرد كلمة وضعناها لتبرير عجزنا عن فعل شيء

الحزن لا تزيله الكلمات

ولكن قد يخفف الزمن بعض اشتعاله

ولكنه يبقى كامنا . . . هناك في أعماق القلب

كالجمر تحت الرماد

إنه باق إلى الأبد

فالأحزان لا تنسى

كل ما تستطيع فعله هو أن تراقب الدموع وهي تندى في عيون من تحب

وتتمتم ببعض الكلمات التي لن تجد طريقها إلى قلبه أبدا . . .





رفيقتي

مضى عامان أو يومان

لم أعد أذكر

فقد توقفت عن العد منذ زمن

وكنت أقول لنفسي أنه يعد الأيام من ينتظر اللقاء

وأنا أعلم في قرارة نفسي أننا لن نلتقي ثانية

صحيح أننا لم نصرح بذلك

ولكن كنا نعلم أن هذا اليوم سيأتي عاجلا أم آجلا

فكل أنسان تتخذه صديقا أو عزيزا تجمعك به مرحلة معينة وظروف معينة وفي

الغالب ستنتهي هذه العلاقة بانتهاء هذه المرحلة

والكل سيترك بصمته وأثره فيك

وأنا اليوم عندما أفكر فينا

أواسي نفسي بأننا قد عشنا معا أياما جميلة وسرنا جنبا إلى جنب في الطريق

ولكننا الآن وصلنا لمفرق طرق

ولا بد لكل منا أن يسعى لهدفه ويمضي لطريقه وحيدا

نحمل ما استطعنا من ذكريات





ونمضي دون إلتفات إلى الوراء
راجيا أن نجد النور في آخر الطريق





كنا نتكلم لساعات طويلة دون أن نشعر بمرور الوقت
وكان الساعات التي نمضيها معا ليست أكثر من دقائق معدودة
والآن نلتقي مصادفة بعد مرور أربع سنوات
تسأليني كيف حالك
فأقول بخير
وأسألك ذات السؤال ثم تردين بالجواب نفسه
ثم يسود الصمت
فلم يعد لدينا ما نقول
حتى العتاب بدا لنا دون فائدة
فهو لن يغير شيئا من الواقع
لم يدم حديثنا سوى لحظات
ولكنها بدت لي سنوات طويلة
تمنيت انقضائها بأسرع ما يكون
توقفت مكاني منتظرا انتهائها
وهي مضت في سبيلها يتبعها اطفالها الثلاثة. . .





الذي يخيفني أكثر من عدم الوصول هو انطفاء الرغبة في الماضي قدما
لا أظن أن هناك شيء أفسى من انطفاء الرغبة
أن تستيقظ يوما وتجد ذلك الوهج في عينيك قد انطفأ
أن تصبح جميع الألوان باهتة في عينيك وكل الأشياء ذات بريق حزين
أن لا تشعر بالحماس وأنت تخطو في مدينة تزورها للمرة الأولى
أن ترى السهول والتلال
وترى الأنهار تشق طريقها ماضية نحو الأفق البعيد
أن ترى غروب الشمس ولا تشعر بشيء
نعم لا شيء...
تقف متأملا الأفق
متذكرا كل هزائم الماضي
كل ما فقدت وذهب إلى الأبد
وتدرك أنك لست في انتظار للنهاية
لأن كل شيء أنتهى منذ زمن





وحيداً وقفت هناك
أرغب خطواتها وهي تأخذها بعيداً
وكانها شمسٌ آذنت بالغروب
كنت أريد أن أناديها
ثم آثرت الصمت
لأنني أدركت أن الوداع الحقيقي يكون بالعيون
لا الكلمات
و كفى بهذا الكون أن يكون فيه عينان حزينتان
فأردت أن تكون عيوني هي تلك العيون
دون أن أرى انعكاس حزني في مقلتيها
و أخيراً السلام من قلبي
إلى بساتين البنفسج في عيناكِ



